الشمسية

في

القواعد المنطقية

* **الشمسية في القواعد المنطقية**
* تأليف: د. **مهدي فضل الله**
* الطبعة الأولى، 1998
* جميع الحقوق محفوظة
* الناشر: **المركز الثقافي العربي**

□ **الدار البيضاء**/ • 42 الشارع الملكي (الأحباس) • فاكس /305726/ • هاتف/ 303339 - 307651/.
• 28 شارع 2 مارس • هاتف /271753 - 276838/ • ص.ب./ 4006/ درب سيدنا.

العنوان:

□ **بيروت**/ الحمراء ـ شارع جان دارك ـ بناية المقدسي ـ الطابق الثالث.
• ص.ب/ 113-5158/ • هاتف/ 343701 - 352826/ • فاكس/ 00961-1-343701/.

الشمسية
في
القواعد المنطقية

تقديم، تحليل، تعليق، وتحقيق
الدكتور مهدي فضل الله

المركز الثقافي العربي

الإهـداء

إلى مناطقتنا الأوائل الذين أثروا المنطق اليوناني،
وما زالت آثارهم قدوة...

وإلى كل الباحثين في علم المنطق، والمهتمين به...

م.ف.

مقدمة

(1)

لقد طغى الفكر الغربي في العصر الحديث على كل ما عداه، حتى أصبح كل فكر لا ينتمي في جذوره إلى الغرب، أسير آراء المفكرين الغربيين، وبخاصة **المستشرقين** منهم، ومناهجهم، ومعتقداتهم. ولعل ظاهرة تقليد الغرب في كل شيء، إن في مظاهر الحياة المادية، أو الثقافية، أو العلمية، تبرز أكثر ما تبرز في الفكر العربي وعند المثقفين العرب، الذين افتتنوا بالحضارة الغربية، ودعوا إلى تبني مآثرها أكثر من غيرهم. حتى إن أحدهم للأسف، وهو **طه حسين**، ذهب إلى حدّ التأكيد في كتابه: **مستقبل الثقافة في مصر**، الذي ظهر عام 1938، بأن العقلية المصرية، أقرب إلى العقلية الغربية منها إلى العقلية الشرقية؛ وأن العقلية المصرية، ما هي إلاّ امتداد للعقلية الغربية؛ وأن الغرب يجب أن يكون المثال الأعلى، الذي يقتفي المثقفون خطاه، وينسجون على منواله؛ فتبنى المذهب الديكارتي في أبحاثه الدينية والأدبية، مما أدى به إلى التشكيك في صحة نسبة الشعر الجاهلي إلى أصحابه، وإلى التشكيك في صحة الروايات الدينية المتعلقة بإبراهيم وإسماعيل والكعبة... الخ.

وهكذا، نجح الغرب، ولا سيما عن طريق الإستشراق الذي ابتدعه، والمستشرقين العديدين الذين أنجبهم، في ترسيخ أقدامه في بلادنا، وفي هيمنته على شؤوننا، وبخاصة الثقافية والفكرية منها، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بواسطة المبهورين بحضارة الغرب وآرائه، الذين تتلمذوا على أبنائه، ومستشرقيه.

وقد ضاعت للأسف تحت وطأة المدّ الثقافي الغربي، وتحت وطأة «غربنة» بعض مفكرينا الذين نهلوا من الغرب ثقافتهم، بعض الصرخات الصادقة الصادرة عن بعض مفكري بلاد الغرب نفسه، مثل، **بول ماسون أورسيل** Paul Masson Oursel... التي تقول: إن تاريخ الفكر الغربي الفلسفي، والعلمي، والأدبي، لا يكتفي بنفسه. فتفسيره التاريخي يتطلب إعادة وضعه في وسط إنساني واسع النطاق؛ لأن تاريخ الفكر الفلسفي،

والأدبي، والعلمي الصحيح، هو وحده التاريخ العالمي.

ومن المؤسف حقاً، أن نجد معظم المثقفين والمفكرين العرب، اليوم، يتلمسون دائماً في أبحاثهم ومصنفاتهم، حتى فيما يتعلق بتراثهم، تراث آبائنا وأجدادنا، في الدين، والفلسفة، والأدب، مناهج الغربيين، ويتبنون آراءهم، أو على الأقل يستشهدون بها ويعتمدون عليها. وهذا لا شك من أكبر الآفات التي ما زالت تفتك في بلادنا، وفي عقولنا، ولا تساعد أبداً على التخلص من سموم الغرب وغاياته الخبيثة. ولذا، لا عجب أن قلَّ ما نجد كتاباً في الدين أو الفلسفة، كُتب بالعربية، لا يستشهد صاحبه غالباً، بما يقوله المفكرون الغربيون؛ حتى لكأن ما يقوله كل مفكر غربي، وبالتفصيل، هي الجواز بالشهادة على سعة الإطلاع، والتخصص. وقياساً على ذلك، ندر أن نجد كتاباً رصيناً في علم المنطق، لا تتزين صفحاته وهوامشه الكثيرة بما قاله مناطقة **پور رويال** Port-Royal في مسائل المنطق المختلفة، حتى لأصبح كل دارس للمنطق، يعرف آراءهم في هذا المجال، أكثر من معرفته لآراء **ابن سينا**، أو **الفارابي**، أو **الغزالي**، أو **القزويني**، أو **الرازي**، أو **الساوي**... الخ. مع أنهم في الحقيقة وللأسف، بعد إطلاعنا الدقيق على مآثرهم في حقل المنطق وشواهدهم المنطقية، التي يثبتون، في إحداها المساقة في **القياس**، أن المسلمين كناية عن جماعة من الكفار، لم نجد أي شيء يستحق الذكر عندهم، ويستحق بعد ذلك، الإستشهاد بهم...

(2)

ومما لا شك فيه أن الكون والوجود، ومنه الوجود الإنساني، محكوم بنوع خاص من المنطق، هو كناية عن مجموعة العلاقات القائمة بين ظواهر الوجود ومظاهر الحياة المختلفة من بداية ونهاية، بحيث أن أدنى اختلال في هذه العلاقات يلزم منه حكماً وحتماً اختلال في مظاهر الكون والوجود المختلفة. مع الملاحظة بأن حياة الإنسان العامة منها والخاصة محكومة بنوع معين من المنطق يتمثل في سلوكه ومأكله وملبسه... الخ.

وإذا كان الأمر كذلك، بالنسبة إلى الكون والوجود، وحياة الإنسان العامة والخاصة، فمن الطبيعي أن يكون هناك منطق يحكم الجانب العقلي من الإنسان أو الفكر الإنساني؛ هذا المنطق هو كناية عن مجموعة من القواعد والمبادىء والقوانين التي تعصم مراعاتها الفكر أو العقل من الوقوع في الخطأ أو الزلل. والإنسان الذي لا يراعي هذه القواعد والمبادىء والقوانين يكون معرضاً باستمرار للوقوع في الخطأ والغلط،

بالرغم من توهمه أحياناً بأنه على صواب، ورأيه هو الصحيح أو الأصح.

ولعل الخدمة الجلّى التي يؤديها المنطق إلى العامة والخاصة من الناس، هي إرشادهم إلى التحري الدقيق عن الحقيقة والوسائل أو الطرق المؤدية إليها، ومعرفة الذين يتلاعبون بمعاني الألفاظ وعواطف الناس ويستهينون بعقول الناس، كأرباب الخطابة، والسياسة، والتنظير للأفكار والمعتقدات.

وهكذا، فللمنطق وظيفتان أساسيتان: **الأُولى**، هي تبيان القواعد والقوانين التي ينبغي على العقل أن يعمل بهديها لتمييز صحيح الفكر من فاسده. **والثانية**، هي أن يكشف عن الخطأ في التفكير، وأنواعه، وأسبابه.

وقد أدرك العلماء المسلمون الأوائل أهمية المنطق، فأولوه حقه من الاهتمام، حتى أن الإمام **الغزالي** قال في كتابه **المستصفى** «من لا معرفة له بالمنطق لا يوثق بعلمه». «وإن من لا يحيط بالمنطق فلا ثقة بعلومه أصلاً». كما قال **ابن حزم** الأندلسي: «إن علم المنطق يقف على الحقائق كلها ويميزها من الأباطيل تمييزاً لا يبقى معه ريب».

أما الفلاسفة المسلمون، كالفارابي، وابن سينا، فكانوا يعتبرون المنطق، القانون الصناعي العاصم للذهن عن الزلل في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات، والمميز لصواب الرأي من الخطأ في العقائد. وأنه علم التفكير الصحيح كما هو الحال في الموازين والمكاييل في قياس الأجسام.

مع الإشارة إلى أن المنطق الذي معناه اتفاق العقل مع ذاته، واتفاق العقل مع الأشياء الخارجية أو الواقع، هو أداة التفلسف والبناء الفلسفي؛ وقبل الشروع في البناء لا بد من التمكن من الأداة أو التسلح بالمنطق. فالمنطق آلة العلم أو الأداة التي بفضلها يقوم التفلسف، لأن الفلسفة برأي البعض، ليست سوى نسق من القضايا المنطقية، ومن هنا قول **برتراند راسل**: «إن صلة المنطق بالميتافيزيقا أشبه ما تكون بصلة الرياضيات بالطبيعيات».

(3)

وقد نشأ المنطق كعلم قائم بذاته، له موضوعاته المحددة، ومسائله المعروفة، ومبادئه المتفق عليها، وقواعده المسلَّم بها، نشأة يونانية صرفة. وهو ينسب إلى **أرسطو**، لكونه أول من تنبه إلى أن الكلام أو الفكر يسير على وتيرة معينة، وله صور معينة، وأشكال محددة؛ فكان أن وضع قواعده وأُصوله، وأصبح معه علماً قائماً بذاته

يحسب عليه وحده. حتى أن فيلسوفا مثل كانط (1724 ـ 1804 م) يرى ان علم المنطق وُلِدَ كاملاً ومنتهياً منذ أرسطو، وأنه ينطبق على كل معرفة؛ لأن من صفاته أنه **صوري وعام**، وأنه لم يخط خطوة واحدة إلى الأمام بعده، كما أنه لم يتراجع خطوة إلى الوراء، محاولاً تصحيح أخطائه، كما تفعل العلوم الأُخرى، التي لم تنجح من أول خطوة. ونحن لا نوافق كانط على رأيه هذا، ونرى أن المنطق وإن وُلِدَ مع أرسطو ويُنسب إليه، إلاّ أن هذا العلم تطور بعد أرسطو، كما هو ظاهر في كتابات **الرواقيين**، الذين كانوا أول من تكلم في القضايا الشرطية، ورفضوا المعاني العامة الكلية التي لا وجود لها إلاّ في عالم الذهن؛ وكما هو ملاحظ عند **ابن سينا**، الذي قرب المنطق إلى المنهج التجريبي عن طريق معالجة الجزئيات أولاً، ثم الانتقال منها إلى الكليات... الخ. مع الملاحظة أن المنطق الأرسطي يخلو من كثير من العلاقات التي استحدثها المنطق الرياضي؛ كما أنه يفتقر إلى القوانين العامة التي يمكن أن تطبق على جميع صور التفكير الإنساني... الخ.

ولعل ما حفّز أرسطو على وضع هذا العلم، عاملان إثنان:

أولهما: إنكار السوفسطائيين لوجود الحقيقة أو تشكيكهم فيها، وتلاعبهم البارع بمعاني الألفاظ وعواطف الناس، وادعائهم بأن الإنسان هو مقياس كل شيء، فما يراه حقاً فهو حق، وما يراه باطلاً فهو باطل؛ ومجادلته لهم في ذلك، بإرغامهم على وضع أفكارهم أو آرائهم في صورة مقدمات، على طريقة معينة، هي طريقة **القياس**، ثم إلزامهم بالتسليم بنتائج معينة منبثقة منها.

ثانيهما: عدم موافقة أرسطو لأفلاطون على نظريته في عالم المثل، التي لاقت رواجاً عند الناس لكون العقل لا يسلِّم بها، ولضرورة إيجاد أُسس معروفة تكون نقطة إنطلاق في البحث الفلسفي، فكانت كلمته المشهورة: «أفلاطون صديق، والحقّ صديق، ولكن الحق أحبّ إليّ من أفلاطون».

وقد ظهر علم المنطق اليوناني ـ بقوة ـ في العالم الإسلامي العربي في العصر العباسي، بعد ترجمة كُتب أرسطو المنطقية إلى العربية. وكان أول من بدأ بترجمة كُتب أرسطو المنطقية، **عبد الله بن المقفع** في عهد أبي جعفر **المنصور**[1]، حيث ترجم أربعة كُتب من **الأرغانون** Organon، هي:

---

(1) يرى بعض المؤرخين أن **المنصور** هو مؤسس **بيت الحكمة** في بغداد. وقد عني بترجمة كُتب الفلسفة والطب والفلك والهندسة اليونانية.

1 ـ «إيساغوجي» أو المدخل، **لفرفوريوس الصوري**.

2 ـ «قاطيغورياس» أو المقولات العشر.

3 ـ «باري آرميناس» أو العبارة.

4 ـ «أنالوطيقا» أو التحليلي، التحليلات.

ويرى بعض الباحثين، أن المسلمين عرفوا المنطق اليوناني، وبخاصة منطق أرسطو، في العصر الأموي، حيث أمر **خالد بن يزيد** بن معاوية بعض العلماء اليونانيين، الذين يقيمون في الإسكندرية، بترجمة كتاب **الأرغانون** إلى العربية. وأن الخليفة الأول **معاوية بن أبي سفيان**، كان أول من أنشأ بيت الحكمة في دمشق[1].

وقد شهدت بغداد في عصر **المأمون** وغيره، كالخليفة **المتوكل**[2]، ترجمة كُتب أرسطو المنطقية في **«بيت الحكمة»**[3] على يد يوحنا بن ماسويه (790 ـ 857 م)، وحُنين بن إسحٰق (809 ـ 877 م)[4]، وإسحٰق بن حُنين (845 ـ 910 م)[5]، ويحيى بن عدي (893 ـ 974 م)، وأبو عثمان صاعد بن يعقوب الدمشقي (303 هـ/ 915 م)[6]. كما شهدت ترجمة شروحات الإسكندر الأفروديسي (160 ـ 220 م) على التحليلات الأرسطية، وكتبه المنطقية الأُخرى: **كالمقولات، والعبارة، والجدل**؛ وكذلك ترجمة كتاب **إيساغوجي أو المدخل لفرفوريوس** الصوري؛ فضلاً عن **منطق جالينوس**[7] (129 ـ 199 م) الطبيب اليوناني المشهور؛ ومنطق **الرواقيين** أو «المنطق الميغاري». مع

---

(1) علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص 20.

(2) كان المتوكل يعطي حنين بن إسحاق وزن ما يترجمه ذهباً.

(3) هي مدرسة للترجمة سميت: **بيت الحكمة**. أسسها ـ على الأرجح ـ المأمون في بغداد، وجعل على رأسها أبو زكريا يوحنا ابن ماسويه (790 ـ 857 م). وقد بلغت الترجمة أوجها في عصر المأمون الذي أرسل العلماء إلى مختلف الأقطار لجمع الكتب، وعيّن المترجمين لنقلها إلى العربية.

(4) تولى رئاسة بيت الحكمة عام 242 هـ، بعد يوحنا بن ماسويه.

(5) نقل إسحٰق كتاب: **«باري أرميناس»** العبارة، عن اليونانية، وكذلك، كتاب **السماع الطبيعي، والنفس**... الخ.

(6) ترجم كتاب: **«طوبيقا»** الجدل.

(7) المدخل إلى المنطق، الأقيسة، العبارة، الحدود، الرسوم... الخ. ويرى بعض الباحثين أن لجالينوس كتاباً في المنطق يتضمن ثلاث عشرة مقالة في البرهان. مع الملاحظة أن جالينوس هو صاحب الشكل الرابع في القياس المعروف باسمه: **الشكل الجالينوسي**.